

عمارة المساجد في إقليم وادي ريغ

المسجد الجامع الكبير قصبة تقرت أنموذجا

الدكتور العمودي التجاني

جامعة الوادي الجزائرية

ملخص:

كان المسجد منذ نشأته مؤسسة دينية يلتقي فيه العباد، ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية، وهو في نفس الوقت قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة و إلى جانب مساهمته في تعزيزه وحدة الجماعة لأنه فضاء للالتقاء اليومي بين أفراد المصلين بمختلف أعمارهم. كما يعتبر المسجد أول بيت أسس على التقوى يجمع المؤمنين تحت سقف واحد خاشعين أمام عظمة الخالق سبحانه وتعالى .

إن الهدف من دراسة عمارة الجامع و المسجد في الجنوب و في منطقة وادي ريغ بصفة خاصة هو تتبع نشأتها وتطورها وتأثيرها بمختلف الأنماط المعمارية سواء في الجنوب أو الشمال، وأيضا تأصيل التصاميم والعناصر المعمارية والإنشائية التي استعملت وكيف تأقلم معها السكان في مبانيهم الدينية تلك بعوامل الطبيعة و المحيط الجغرافي .

كلمات مفتاحية: العمارة الدينية ، المساجد ، العمارة الصحراوية ، إقليم وادي ريغ ، الجنوب .

Abstract: Since its inception, the mosque has been a religious institution where worshipers meet, stimulating scientific and social life, and it is at the same time the heart of the village in the countryside and the spirit of the neighborhood in the city, as well as its contribution to strengthening the unity of the community

because it is a space for daily meeting between members of worshipers of all ages. The mosque is also the first house founded on piety, bringing the faithful under one roof, humbled by the greatness of the God, glory be to Him. The aim of studying the architecture of the mosque and the mosque in the south and in the Wadi Rig region in particular is to trace its origin, development, and influence to various architectural styles, whether in the south or the north, and also to root the designs and architectural and structural elements that were used and how the population adapted to them in their religious buildings with the factors of nature and Geographical ocean.

مقدمة :

كان أول عمل قام به عندما هاجر النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى المدينة المنورة ، هو بناء مسجده النبوي الشريف فكان أول أسس المجتمع المسلم ، يضعها النبي - عليه الصلاة والسلام - لبناء دعائم المجتمع ، وتأسيس الدولة الإسلامية ، قال الله تعالى : ((.. لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم

فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ..)) (قرآن، د.ت)

ظاهريا عمارة المساجد كانت تلبية لحاجة دينية وهي إقامة شعائر الصلاة جماعة، وهي الركن الثالث في الإسلام، وقد أمر الله عز وجل بها في أكثر من موضع في كتابه الكريم قال تعالى ((.. فأقيموا الصلوة إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ...)) (قرآن، د.ت) وتبعاً لهذا الأمر كان الأمر الإلهي بتأسيس المساجد و الاعتناء بها ، فقال الله تعالى في سورة التوبة ((إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَجْشِ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ)) (قرآن، د.ت) (3) وقال : ((.. في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ويسبح له فيها بالغدو والآصال ...)) (قرآن،

د.ت)

كان المسجد منذ نشأته مؤسسة دينية يلتقي فيه العباد، ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية، وهو في نفس الوقت قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة و إلى جانب مساهمته في تعزيزه وحدة الجماعة لأنه فضاء للالتقاء اليومي بين أفراد المصلين بمختلف أعمارهم. كما يعتبر المسجد أول بيت أسس على التقوى يجمع المؤمنين تحت سقف واحد خاشعين أمام عظمة الخالق سبحانه وتعالى ، إذ يقول عز وجل ((وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا)) (قرآن، د.ت).

المدلول اللغوي لكلمة مسجد :

سجد الرجل بمعنى إنحنى و تطامن إلى الأرض، و سجد البعير أي خف رأسه عند الركوب (منظور، د.ت، صفحة 204) ويقال مسجد بكسر الجيم، اسم مكان مشتق من مصدره السجود وهو بمعنى مكان وضع الجبهة في عبادة الصلاة . (عاصم، 2000، صفحة 282) لأن السجود أهم أركان الصلاة وأشرفها، يقرب المرء إلى ربه أكثر من أفعال الصلاة الأخرى، ولهذا اتخذ اسم المكان من الفعل وأطلق على محل العبادة والصلاة التي هي ركن من أركان الإسلام ، وأما الجانب الوظيفي في تصميم المسجد فهو إيجاد الفراغ المناسب لعدد من المسلمين لأداء الصلاة متجهين للقبلة صوب الكعبة المشرفة ، يقيهم من المطر والحر والبرد و المسجد للصلوات العادية غير صلاة الجمعة. (كوشك، 1989، صفحة 53)

أما الجامع فيعني المسجد الكبير الذي تؤدي فيه الصلاة الجامعة أو الجمعة ، وهو أكبر حجما من المسجد، وقد أخذ المسجد الجامع أهمية كبرى عند تأسيس الدولة الأموية في دمشق ومثل أهمية سياسية كبيرة للدولة، فقد أمر حكام الأقاليم بإقامة المساجد الجامعة لتكون بمثابة مساجد الدولة الرسمية يذكر فيها اسم الخليفة ويدعى له من فوق منابرها . (عاصم، 2000، صفحة 64) إن أول لبنة وضعت في دولة الإسلام تمثلت في بناء الرسول صلى الله عليه وسلم لمسجده في المدينة المنورة عند مريد التمر (1) الذي بركت فيه ناقته، وكان تخطيط هذا المسجد بسيطا بما يتفق و روح الدين الإسلامي و قواعد وأسس البناء في الإسلام، وكان المسجد الأول مربع الشكل وصحنه مكشوبا لا سقف عليه، أما جوانبه الأربعة فكانت مسقوفة والقبلة في شمال المسجد، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد صلى سبعة عشر شهرا متجها نحو بيت المقدس. (عزب، 1418 هـ، صفحة 48)

و نظرا لمكانة هذا المسجد الكبيرة عند المسلمين ، فقد هرع الحكام والسلاطين إلى إجراء الإصلاحات والترميمات عليه باستمرار (رجب، 2000، صفحة 11)(1) فكانت عمارة المسجد النبوي المدرسة الأولى في الإسلام مستوحاة من هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

(1) المرید هو الموضع الذي يجعل فيه الزرع والتمر للتييس. وكان هذا المكان لسهل وسهيل وهما غلامان يتيمان من الأنصار ابتاعه منهما الرسول صلى الله عليه وسلم بعشرة دنانير. إن مساجد الإسلام الأولى كانت عبارة عن مساحات من الأرض صغيرة أو كبيرة، تنظف وتعین فيها اتجاه القبلة وقد تسور أو توضع لها مئذنة في بعض الأحيان ، وذلك لأن طبيعة المساجد تتنافى مع الضخامة والإسراف في الزينة ، لأن المسجد ينبغي أن يكون بسيطا مثل بساطة الإسلام و صفائه. (مؤنس، 1981، صفحة 33)

استمر بعد ذلك تخطيط المساجد، فتطور شكلها من المربع المكشوف إلى المستطيل البسيط إلى أن ألحق بها صحن مكشوف تحيط به أروقة، ثم جاءت المساجد التي سقفت بيوت الصلاة فيها بقباب خاصة في العصر العثماني (مهنايف، 1992، صفحة 71)

و قد أخذ المسجد في الجزائر عناية كبيرة من طرف المسلمين، حيث كان مركز إشعاع حضاري تعددت وظائفه، تؤدي فيه الصلوات وتعقد فيه الندوات إلى جانب ذلك فهو مكان تربوي وتعليمي يحافظ على التماسك الاجتماعي. كما كانت المساجد ظاهرة بارزة في المجتمع، فكان لكل مدينة مسجدها الكبير الذي يجتمع فيه السكان، فلا تكاد تجد قرية أوحيا في المدينة بدون مسجد تستدير الأبنية الأخرى حوله لتقوم فيها أعمال التجارة و الصناعة (سعدالله، 1981، صفحة 246)

المسجد الجامع الكبير قصبة تقرت

1- الموقع وتاريخ التأسيس:

يتوسط الجامع الكبير بتقرت القصر مقابلا للساحة العامة، هذا الجامع كان في الأصل مسجدا للإباضية خربه الأعراب في عهد سيدي محمد بن يحيى (دومة، 1995، صفحة 43)، فبنى أهل البلاد قبالته المسجد المالكي الذي استحوذ عليه الاستعمار فيما بعد وبقي المسجد الاباضي خراب إلى سنة 1222هـ/1807م عندما قام الشيخ إبراهيم الجلابي وبمساعدة السكان بإعادة بنائه .



الصورة 1 : منظر المسجد الجامع يتوسط القصر

ونقرأ في اللوحة الرخامية الموجودة بأعلى المدخل ما يلي :

>> بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد

كامل بناء هذا المسجد وعظم بحول الله وحسن عونه

على يد من أسس بناءه بتقوى الله ورضوانه الأمير الأسعد والأمين الأرشد

قاصدا به وجه الله الأكرم الشيخ إبراهيم بن محمد بن جلاب سنة 1220 هـ عشرين ومائتين وبالله

التوفيق <<



الصورة 2: لوحة الكتابة التأسيسية للمسجد الجامع الكبير قصبة تقرت

ليرمم فيما بعد على يد إبراهيم الثاني ابن جلاب سنة 1250 هـ / 1834 م (Pein, 1983, p. 35) بحيث جلب له البناء والصناعة من مختلف المناطق المجاورة خاصة الصناع التونسيون. (شهبي، 1985، صفحة 42).

2- الوصف الخارجي:

يتربع الجامع الكبير على مساحة 1407 مترا مربعا ، طوله (العمق) 42 مترا، وعرضه 33.5 مترا. يمتاز بشكله الهندسي العام غير المنتظم ، وعدم استقامة أضلاعه.

TOUGGOURT - La Grande Mosquée Djama Elkibir



الصورة 3 : منظر عام للجامع الكبير - قصبة تقرت -

يتكون من بيت للصلاة تعلوها قبة مركزية وصحن وسقيفة وغرفة للإمام ، ومخزن، و سباط ومئذنة مربعة الشكل يعلوها جوسق. يدخل إليه عبر 05 مداخل غير مباشرة .

المدخل :

ففي الجامع الكبير بتقرت يفتح المدخل الرئيسي في جدار القبلة لبيت الصلاة ارتفاعه 2.29 م وعرضه 1.68 م يؤدي مباشرة إلى الرواق المطل على الصحن، ومدخلين ثانويين إحدهما بالجدار الغربي ارتفاعه 1.98 م وعرضه 1.68 م يفتح على سقيفة تؤدي إلى الجزء المخصص لصلاة النساء ومنه إلى الشارع ويتكون بابه من مرصعين، ومدخل ثان بالجدار الجنوبي كان يؤدي إلى الزقاق، أبواب هذه المداخل خشبية

مزينة بزخارف هندسية مشكلة برؤوس المسامير المقببة الشكل ولكنه مع الزيادات التي تعرض لها المسجد أصبح هذا المدخل يؤدي إلى الميضأة الجديدة.

3- بيت الصلاة :

بيت الصلاة ذات الشكل المستطيل عرضها أكبر من عمقها ويتمثل في بيت الصلاة لجامع تقرت إذ يبلغ عرضه 24.95م وعمقها 23.20م ، وهي بهذا شبيهة ببيوت الصلاة بكل من جامع سيدي بومدين 733 هـ/1338م، وجامع سيدي أبو مروان بعناية، وجامع ابن سهلون بور قلة، وجامع قصر المنيعه، وجامع سيدي إبراهيم بتيميمون، وهذا ما يدل على أن هذا النوع من بيوت الصلاة لم يكن حكرا على المناطق الجنوبية (Schacht, 1954، صفحة 124) بل عرف في مناطق أخرى من الوطن، كما يوجد ما يشبهه بإفريقيا الجنوبية، وربما تعود كثرة استعماله بالجوامع والمساجد الصحراوية إلى تأثيرات خارجية باعتبار المنطقة كانت نقطة عبور للقوافل التجارية مثلها مثل الجنوب الغربي، كما لا يستثنى اعتباره نوعا من التخطيط الذي يتلاءم وعادات المنطقة المستقاة من الدين الإسلامي بحيث يساعد هذا النوع على حشر عدد كبير من المصلين في الصف الأول لما فيه من اجر كبير .

بيت صلاة الجامع الكبير للقصبه يقوم على دعائم تأخذ شكل + متساوية رباعية الأضلاع طول كل ضلع يساوي 0.6 م ترفع أقواسا نصف دائرية الشكل تشكل البلاطات العمودية على جدار القبلة والاسايب الموازية له، يبلغ عدد بلاطاتها 08 بلاطات ،تبلغ المسافة الفاصلة بين بلاطة وأخرى 2.6 م بما فيها البلاطة الوسطى أما الأسايب يبلغ عددها 08 أسايب يفصل بين أسكوب وآخر 2.20 م ،تربط بينها قطع خشبية وترفع سقفا بأقبية متقاطعة يتوسط جدار القبلة محراب ،



الصورة 3 : منظر لبيت الصلاة و المحراب

هذا العنصر يعتبر من العناصر الأساسية في الجوامع والمساجد إذ يرتبط بقدسية المكان المعد للتعبد والاتصال بالله سبحانه وتعالى، فجاء ذكرها لكلمة <<محراب>> في عدة آيات قرآنية منها قوله سبحانه وتعالى ((وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا)) (قرآن، د.ت) كما يقول ((وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى..)) (قرآن، د.ت) ويقول أيضا: ((.. فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم)) (قرآن، د.ت) ويقصد بالمحراب هنا المسجد (مطروح، 1993، صفحة 77) كما اعتبر المحراب صدر البيت وأكرم موضع فيه (الزيدي، 1888، صفحة 207).

و قد اختلفت الروايات في تحديد أول عمل للمحراب المخوف وربما أقدم تاريخ هو ذلك الذي يعود إلى سنة 24 هـ/644م عندما قام عثمان ابن عفان بتوسيع المسجد النبوي بالمدينة المنورة (بطوطة، 1938، صفحة 77) فعمل البناء على إبراز المحراب كعنصر أساسي بمعظم الجوامع والمساجد بالمغرب الإسلامي دون الخروج عن الشكل التقليدي ذو التجويف النصف دائري كمحراب جامع القيروان، ومحراب الجامع الكبير يتلمسان، ومحراب جامع الزيتونة (250هـ/864م)، ومحراب الجامع الكبير بالجزائر. فمحراب الجامع الكبير بتقرت ذو تجويف نصف دائري ارتفاعه 2.70م وعرضه 2.08م وعمقه 1.30م يعلوه عقد متجاوز يكتنفه عمودان رخاميان اسطوانيان ارتفاع كل منهما 0.77م ينتهيان بتاج مزين بعناصر نباتية تمثلت في أوراق العنب ومجموعة من الأهلة. واجهة جدار القبلة تزينها بلاطات خزفية ذات لون أزرق سماوي، تحمل زخارف نباتية وهندسية. يعلو المحراب القبة المركزية تقوم على أربع حنايا ركنية، مزينة بزخارف جصية هندسية، في شكل دوائر، وأطباق نجمية، في لوحات مربعة، ونصف دائرية، وأقواس.



الصورة 4 : الحنايا الركنية في القبة المركزية و زخرفتها الحصية

تحتوي قاعة صلاة الجامع الكبير على منبر خشبي يعد تحفة فنية مزدان بزخارف متنوعة وقبل وصفه نسلط الضوء على هذا العنصر الهام في عمارة المساجد.

يعتبر المنبر من العناصر الأساسية التي أدخلها الرسول صلى الله عليه وسلم في المسجد. والمنبر لغة هو مرقاد الخطيب، وسمي منبرا لارتفاعه وعلوه يقال إن تبر الأمير أي بمعنى ارتفع، فكل مرتفع منبر وكل ما رفعته قد ميزته، أما اصطلاحا فهو محل مرتفع يرتقيه الخطيب يوم الجمعة والأعياد للخطبة فكان المنبر المكان الذي يدعو منه إلى الموعظة والرشد وتبليغ تعاليم الدين الإسلامي كما كان الذي يدعو منه إلى الجهاد والتأزر والتآخي، ليكون المنبر بعد اتساع الدولة الإسلامية هنا وهناك مكانا للدعوة لخليفة المسلمين فكان شق عصى الطاعة بتوقيف الدعوة له على المنابر،

فالمنبر لعب وما زال يلعب دور دينيا وسياسيا عبر تاريخ الدولة الإسلامية (المراكشي، 1950، صفحة 112) ويعد منبر جامع القيروان أقدم منبر حيث أنجز من طرف الأمير الأغلي أبو إبراهيم أحمد سنة 248 هـ / 862 م (Colvin, 1960, p. 278) ويصنع المنبر غالبا من مادة الخشب ذات النوعية الجيدة فأبدع الفنانون وتفننوا في زخرفته سواء بزخارف نباتية أو هندسية وحتى كتابية هذه الأخيرة التي كانت في الغالب تحمل تاريخ صنعه واسم الحاكم الذي أمر بصنعه وحتى صانعه، ونظرا لاقتصار استعمال المنبر على يوم الجمعة والأعياد هيئت لها أماكن خاصة بها.

كما وجد في الجوامع التي تفتقر لمادة الخشب منابر مبنية كجزء لا يتجزأ من المبنى وتمثلت هذه الظاهرة في منبر جامع الأغواط، وجامع عين ماضي والجامع العتيق بسيدي (ورقلة)، وجامع قصر المنيع، الجامع العتيق بمتليلي... وغيره (Schacht, 1954، صفحة 33). وقد احتوى الجامع الكبير بتقرت على منبر من الخشب اتبع في تصميمه المنابر الإسلامية المعروفة كمنبر الجامع الكبير بالجزائر، ومنبر جامع القيروان وغيره. ويحمل المنبر تاريخ تحديده وهو نفس تاريخ ترميم المسجد من خلال الكتابة الموجودة بإحدى عريضته وهي كالتالي:

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلي الله على سيدنا محمد

حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

نصر من الله وفتح قريب

وبشر المؤمنين

لا إله إلا الله محمد رسول الله

جدد هذا المنبر الشيخ الذي اسمه إبراهيم بالجوود أننا عليه كثير الناس في كل موطن وهو ابن جلاب
فبالفضل اجلبنا

وجاء رضي عن طيبة النفس مخلصا قد اختار ما يبق على دنيا تفنا (Bourouiba, 1984, p. 56)

وعمق هذا المنبر 2,50 م وعرض مدخله 0,75 م والذي يعلوه عقد متجاوز، أما ارتفاع المنبر 1,55 م
يتم الصعود إليه عن طريق سبع درجات أبعاده 0,30 م النائمة و0,22 م القائمة و0,78 م طولاً تؤدي
إلى جلسة الإمام.

وتأخذ العارضتين المشكلتين لجوانب المنبر الشكل الشبه منحرف ينتهي بإطار من الزخارف النباتية كما
يتوسط كل عارضة مجموعة من الزخارف الهندسية والنباتية والكتايبية والعمرائية،

ولمنبر الجامع العتيق شبه كبير بمنبر الجامع المالكي العتيق بقصر ورقلة 626 هـ / 1391 م، والاختلاف
الوحيد هو عدم وجود تجويف لمنبر تقرت ولكنه مثبت على الدعامة المجاورة له.

4 - الصحن :

وجود الصحن ظاهرة معروفة في معظم الجوامع والمساجد الإسلامية كجامع القيروان، جامع المنصورة، جامع
تلمسان، مسجد سيدي بومدين وغيره.

الصحن عنصر مهم في هذه المنشآت مما يوفره من إنارة وتهوية ليت الصلاة بالإضافة إلى أنه المكان المفضل
لأداء صلاة المغرب والعشاء صيفاً، ولهذا الغرض زودت معظم هذه المساجد بحراب

الصحن ذو الشكل المستطيل عمقه أكبر من عرضه ويتمثل في صحن الجامع العتيق بتقرت عمقه 13.63 م
وعرضه 11.70 م يتم الدخول إليه من مدخل رئيسي ارتفاعه 2.75 م وعرضه 1.65 م يتكون بابه من

مرصعين، وهو يؤدي مباشرة إلى رواق يتكون من ستة عقود متجاوزة تتركز على سبعة دعائم مربعة 0.71م تلغ مقاسات هذا الرواق 13.63مx3.16م و أبعاد الثاني 11.70مx3.40م .

5 - المئذنة :

اختلف الباحثون والدارسون للعمارة الإسلامية خاصة منها تحديد الأصول الأولى للمآذن بطريقة علمية بحتة، فذهب البعض منهم إلى القول بأن المئذنة مشتقة من الصوامع المربعة بالكنائس السائدة ببلاد الشام قبل الفتح الإسلامي في حين يرجعها البعض إلى منارة الإسكندرية (عكاشة، د.ت، صفحة 121)

ويرى فريد الشافعي أن أقدم مئذنة جامع البصرة في عهد بن أبي سفيان سنة 45 هـ / 665 م لتليها مجموعة من المآذن جامع عمر بن العاص بالفسطاط سنة 53 هـ / 673 م (الشافعي، 1989، صفحة 637) فالمئذنة ظهرت بالمشرق وانتقلت إلى المغرب والأندلس،

فأعطت المئذنة بذلك للمسجد طابعه المميز، لتختلف صورتها من عصر لآخر ومن مكان إلى مكان، فوجدت المئذنة المربعة ببلاد الشام والمغرب والأندلس والمئذنة المثلثة الأضلاع والمئذنة الأسطوانية الشكل عند الأتراك، والمئذنة المخروطية الشكل ببلاد فارس، والمئذنة اللولبية.

كما وجدت المئذنة المكونة من طابق واحد ومن طابقين أو ثلاثة طوابق أما موقعها بالجامع فإنه يختلف من جامع لآخر، فهي في مؤخرته كما قد تكون في مقدمته، وقد تكون في جانب منه أو في أي ركن من أركانه، كما قد تنتصب ملتصقة بالجدار الخارجي وبعيدة عن الصحن وبيت الصلاة (سالم، 1959، صفحة 59) ويذكر أحمد فكري بأن المساجد الجامعة الأولى كانت تختصر على مئذنة واحدة لتظهر فيما بعد أكثر من مئذنة للمسجد الواحد، كما في جامع عمرو بن العاص الذي كان له أربعة مآذن (فكري، 1965، صفحة 88) وتعتبر مئذنة جامع القيروان (53 هـ / 673 م) بخصائصها العربية الإسلامية كاملة من حيث التكوين المعماري وأسلوب البناء، وليس بها شيء يمكن نسبته إلى طراز معين سابق عن الإسلام إلا عنصرا واحدا هو عقد على شكل حدوة الفرس، فكان لخصائصها العربية الإسلامية الواضحة فضلا على قلب نظرية اقتباس المآذن من مصادر سابقة للإسلام رأسا على عقب (الشافعي، 1989، صفحة 637)

لتصبح هذه المئذنة بقاعدتها المربعة وتراجع جدرانها إلى الداخل كلما ارتفعنا نموذجاً احتذت به المآذن اللاحقة بالمغرب والأندلس. (فكري، 1965، صفحة 167)

وبالجوامع العتيقة والمساجد لكلا القصرين لا يوجد سوى مئذنتين واحدة بالمسجد الجامع الكبير بتقرت والثانية بمسجد عبد الله المغراوي بتماسين بعد أن تحولت مئذنة الجامع المالكي بتقرت مع ما تحولت من مسجد إلى برج للمراقبة في الفترة الاستعمارية لتهدم فيما بعد.

تأخذ مئذنة الجامع العتيق بقصبة تقرت شكلاً مربعاً يعلوها جوسق مربع الشكل أيضاً ينتهي

بقببية مخروطية الشكل تشغل هذه المئذنة الركن الجنوبي الغربي للصحن يفتح مدخلها مباشرة على الرواق ارتفاعه 0.72م وعرضه 0.35م وهي ذات ارتفاع متوسط قاعدتها مربعة الشكل مثلها مثل المآذن الغربية، وتتكون المئذنة من بدن و جوسق أي من طابقين بحيث يرتفع البدن من الأعلى إلى الأسفل محتفظاً بنفس الإبعاد أي دون وجود تراجع لجدرانها نحو الداخل، وينقسم بدنها بواسطة مجموعة من الأجر إلى قسمين، وهي بهذا شبيهة بمئذنة مسجد سيدي إبراهيم، والجامع الكبير بالجزائر المتأثرة بدورها بمآذن الموحدون (Bourouiba, 1984، صفحة 157) ويؤدي مدخل المئذنة مباشرة إلى دعامة مركزية صماء كما هو الحال في مآذن المغرب الأوسط،

يلتف حولها سلم سقفه على شكل قبه نصف اسطوانية، وقد يكون السلم خارج المئذنة، كما هو الحال في مالوية جامع سمراء 3هـ/9م، كما قد يكون للمئذنة درج مزدوج وهو ما انفردت به مئذنة قرطبة، و يحل مكان السلم طريق صاعد يدور حول المئذنة كما هو الحال بمئذنة جامع المنصورة يتلمسان (Ricard, 1924, p. 157)، ويترخف أعلى المئذنة من جهاتها الأربعة عمودين يعلوهما ثلاثة عقود متجاوزة منكسرة، ويتوسط الشرفة جوسق تعلوه قبة محمولة على أربعة عقود نصف دائرية محمولة بدورها على دعامات مربعة، ويعلو القبة سفود بارز يحمل كرة معدنية، وبين جدران الشرفة المزينة بثلاث شرفات من كل جهة والجوسق فراغ يسمح للمؤذن بالتحرك بكل سهولة وهو مكشوف. فمئذنة الجامع العتيق بتقرت قليلة الزخرفة إذ لم نقول تكاد تكون خالية إذا ما قورنت بزخرفة مئذنة مسجد عبد الله المغراوي هذه الأخيرة التي تمتاز بكثرة زخارفها .



الصورة 5 : مئذنة الجامع الكبير قصبه تفرت

النمط المعماري لمساجد الجنوب

تأثرت العمارة الدينية في الجنوب بعوامل مختلفة، منها العوامل الجغرافية تتعلق بطبيعة وتضاريس الأرض والمناخ و المواد الخام المتوفرة في المنطقة التي تشيد فيها الأبنية.

إن السمة العامة للمناخ بمناطق الجنوب هي الجفاف و الحرارة ، يمتاز بقلة تساقط الأمطار في فصل الشتاء و الحرارة الشديدة في فصل الصيف و بدرجتها القصوى ، و من أسباب ذلك أشعة الشمس العمودية في النهار ، بحيث يكون سطح الأرض عاكسا للأشعة بسبب الرمال الساخنة والتي تزيد من الارتفاع في درجات الحرارة ، و أما الرياح فتكون عبارة عن زوابع رملية على مدار السنة وتؤدي إلى الارتفاع في درجات الحرارة . (حملاوي، 2008، صفحة 57)

وكما أسلفنا الذكر أن كل هذه العوامل لها تأثيرها على التخطيط العمراني وعلى أشكال المباني وعلى العناصر المعمارية المتمثلة في الجدران، الفتحات، والأسقف، هذه الأخيرة ظهرت مستوية. و قد روعي كذلك عند وضع النوافذ و الفتحات أن تكون ضيقة للتقليل من شدة الضوء في بيوت الصلاة، لإيجاد أفنية مظللة أمام المسجد لتلطيف الجو.

والتصقت المباني ببعضها البعض لتقوية تحملها، و تسهيل المرور من مبنى إلى آخر خاصة المساجد التي يجد المصلون العناء للوصول إليها في فصل الحر.

و قد اتخذ الجامع والمسجد في الجنوب موقعا يكون في الغالب في الأزقة المحورية للقصبة، كما أن هذه المساجد تضم في العادة مدارس قرآنية. وتبقى الجوامع من المباني المميزة تتخذ مكانا محوريا داخل القصر أما بالنسبة للتصميم العام للمسجد في مدن الصحراء فيتخذ شكلا بسيطا لأداء وظيفة واضحة هي الصلاة، فقد جاءت بيت الصلاة عبارة عن مستطيل تمتد باتجاه الطول وضلعها الطويل موازيا للقبلة وهو بذلك شبيه بنمط الجامع الأموي بدمشق (الدين، 1982، صفحة 27)، وأما الشكل المربع فكان استثناءا لضرورة إنشائية بحتة، لأن الشكل المربع الذي ظهر في بداية الإسلام كما في جامع الكوفة جاءت من الطريقة التي حدد بها حرم الجامع باستخدام "رمي الرمح" لتحديد الأركان الأربعة للجامع. (مهناريف، 1992، صفحة 70)

وللمسجد في مناطق الصحراء مكونات رئيسية تتمثل في الوحدات التالية :

- - بيت الصلاة
- - الصحن الخارجي
- - المئذنة
- - السطح

تصميم وتخطيط المسجد والجامع في الجنوب يأخذ طابعا شبيه موحد يضم مجموعة من المساجد في كل قصر أو قصبة وفي غالب الأحيان، عبارة عن مصلى خال من جميع العناصر المعمارية مثل الدعامات و الأعمدة ، عبارة عن قاعة صلاة عمقها أكبر من عرضها.

يجب الإشارة إلى أن المئذنة لا توجد في كل مساجد و جوامع القصبة أو القصر في الجنوب وإنما ينفرد بها معلما دينيا واحدا أو اثنين على أكثر تقد ير. و قد اختلفت مساحة هذه المباني وجمالها بين الجوامع العتيقة والمساجد إذ أولي للمساجد الجامعة عناية خاصة من حيث روعة البناء والزخرفة في حين كانت المساجد بسيطة بساطة أهل الصحراء ماعدا مسجد عبد الله المغراوي الذي أولي له اهتماما مميذا تمثل في المئذنة التي تعد تحفة تسر الناظرين، ومنها ما أشتمل على عناصر زخرفية مميزة مثل الجامع الكبير بتفرت

وقد يعود السبب إلى الرعاية المباشرة للحاكم الذي أمر ببناء الجامع كما توضحه الكتابة التأسيسية للجامع. وسندرج أكثر في الدراسة التفصيلية نماذج من مساجد وجوامع المنطقة .

تعتبر مساحة هذه الجوامع والمساجد صغيرة إذا ما قورنت بغيرها من الجوامع والمساجد المعروفة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. وقد أخذت هذه الجوامع والمساجد أشكالاً مختلفة منها ذات الشكل المستطيل عرضها أكبر من عمقها مثل مسجد عبد الله المغراوي وهي شبيهة في تخطيطها بالعديد من الجوامع الإسلامية مثل جامع ندرومة 539 هـ/1145 م، وجامع تلمسان 530 هـ/1136 م، وجامع الأغواط 885 هـ/1480 م، أو مستطيلة الشكل عمقها أكبر من عرضها تمثلت في الجامع العتيق بتماسين ومسجد القبة الخضراء وهي شبيهة في ذلك بجامع قسنطينة 9 هـ/ 13 م (حضري، 1998، صفحة 185) وتضم هذه الجوامع والمساجد بالإضافة إلى بيت الصلاة كل من الصحن، والميضأة، وغرفة الإمام، وغرفة لتعليم القرآن العظيم، والجوامع ذات مساحة أكبر من المساجد ويتجلى ذلك بشكل واضح في بيت الصلاة، كما تمتاز هذه المنشآت بأضلاعها الغير متساوية وعدم استقامتها تكاد تسود معظم مناطق الجنوب الجزائري فتتجلى في كل من جامع سيدي عقبة بيسكرة، والجامع العتيق بعين ماضي عبارة عن قاعة صلاة عمقها أكبر من عرضها، وأيضاً نجد مسجدا بقصر تاجموت

الذي يستمد بعض التأثيرات المرابطية من حيث تخطيطه العام واستعمال بعض العناصر المعمارية. (حملاوي، 1995، صفحة 87)

الخاتمة :

ما يمكن استنتاجه أنه لم يكن هناك اختلاف كبير في تصميمها العام بحيث نجد تشابها واضحا بين تصميم الجامع والمسجد. و من جهة أخرى فإن الخاصية التي تلاحظ على هذه المنشآت الدينية اشتراكها في صغر حجمها بالنسبة للمنشآت المشابهة لها في الشمال او في العديد من المدن الإسلامية الأخرى وقد يكون السبب الرئيس في أنها مشيدة داخل القصبات ، ومن خصائص القصبية محاطة بسور خارجي، وتكون المباني صغيرة الحجم تلي فقط حاجة العدد القليل من السكان الذين يسكنون داخلها.

أما من ناحية التخطيط ، فإن المساجد اتبعت التصميم المناسب الذي يأخذ في الحسبان شروط ووظيفة وخصوصية هذه العمائر في الجنوب، بالإضافة إلى ذلك أنها احتوت على العناصر المعمارية الضرورية من أعمدة ودعامات وعقود دائرية ونصف دائرية ومحاريب بأشكال متنوعة .

أما عن المآذن فإنها اقتصر على عدد محدود من المساجد الجامعة و المساجد ، كما أنها هذه المساجد تكاد تنعدم فيها أية تزيينات على الجدران.

فخلاصة القول مما سبق أن الجوامع والمساجد كانت المؤسسة الدينية الأكثر أهمية في القصر . بالرغم من بساطتها من الجانب الفني و الزخرفي، لأنها جاءت بسيطة بساطة أهل الصحراء بحيث لم تكن تبنى من قبل سلاطين أو حكام تخليدا لفترة حكمهم كما هو الحال عليه في الشمال، أين كان الحاكم أو السلطان يبنى مسجدا خاصا به ويسهر على إتقان عمارته.

وهكذا يتضح مما سبق أن الخصائص العامة لعمارة المساجد في المناطق الحارة لم تكن بفخامة مساجد المناطق المعتدلة، بل أنها ظهرت بسيطة و متواضعة بحيث تم توظيف العناصر المعمارية بدقة حسب الحاجة فقط باستعمال المواد المحلية المتوفرة على الطبيعة.

المصادر و المراجع

العربية:

1. ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديون المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر من عاصرتهم من ذوي السلطان الأكبر (المقدمة) ، الجزء الثالث و الرابع، دار الكتاب اللبناني بيروت 1981 .
2. سامح كمال الدين ، العمارة في صدر الإسلام، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1982.
3. الزيبيدي (محب الدين) ، تاج العروس، الجزء الأول ، ط 1، المطبعة الخيرية مصر 1988
4. الشافعي .(1989). فن العمارة في مصر . القاهرة.
5. سالم عبد العزيز ، المآذن المصرية : نظرة عامة عن أصولها وتطورها منذ الفتح العربي حتى الفتح العثماني، القاهرة، 1959.
6. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، الجزء 1 ، دار الثقافة بيروت 1980 .

7. ابن بطوطة (محمد بن عبد الله) ، تحفة الأنظار في غرائب الأمطار وعجائب الأسفار، الجزء الأول القاهرة 1938 .
8. حضري يمينة ، قصري تقرت و تماسين خلال حكم بني جلاب ، الجزائر رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر ، الجزائر ، 1998 .
9. حملاوي علي ، البيئة الصحراوية وأثرها على العمران، مقال في مجلة آثار ع 7 ، جامعة الجزائر، 2008 .
10. حملاوي علي ، منهجية البحث حول القصور الصحراوية ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، 1995 .
11. ابن دومة ، مذكرة أخبار تاريخية لواحة تقرت و بعض ضواحيها، المطبعة العصرية للوائح ، الجزائر ، 1995 .
12. محمد علي أحمد رجب، المسجد النبوي بالمدينة المنورة ورسومه في الفن الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2000
13. سالم عبد العزيز، المآذن المصرية: نظرة عامة عن أصولها وتطورها منذ الفتح العربي حتى الفتح العثماني. القاهرة ، 1959 .
14. سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي في القرن 14 - 10 هـ - 20 - 16 هـ الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر . 1981
15. شهبي عبد العزيز ، دراسة أثرية لمساحد الزاب ووادي ريغ ، جامعة الجزائر ، 1985 .
16. محمد رزق عاصم، معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية. ط 1، مطبعة مدبولي ، القاهرة 2000
17. عزب خال محمد مصطفى ، تخطيط و عمارة المدن الإسلامية. سلسلة كتاب ، الأمة، العدد 58 قطر : دورية تنشرها وزارة الأوقاف، 1418هـ.
18. عكاشة (ثروت) ، القيم الجمالي في العمارة الإسلامية، القاهرة ، د. ت .
19. فكري أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، العصر الفاطمي ج 1، مصر، 1965 .
20. القرآن الكريم
21. كوشك عبد القادر، الأسس المعمارية في تصميم المسجد، المدينة العربية ، مجلة دورية العدد 39 سنة 1989 .
22. مطروح أم الخير، تطور المحراب في عمارة المغرب الأوساط، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1994 / 1993 .
23. ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم) ، لسان العرب، مج 1 و 6، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، د. ت .

24. مهنا ريف ، نظريات العمارة ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
25. مؤنس حسين ، المساجد ، المجلس الوطني للثقافة، الكويت ، 1981.
الأجنبية :

26. Bourouiba, les Inscriptions des Mosquées d'Algérie O.P.U, Alger, 1984.
27. Colvin, la mosquée ses origines se morphologie ses diverses son rôle dans la vie musulmane plus spécialement en Afrique du nord , S.M.E Alger, 1960.
28. Pein , Lettres Familiers sur l'Algérie , S.M.E, Alger 1983.
29. Ricard , Pour comprendre l'art Musulman dans l'Afrique du nord et en Espagne S.M.E, Paris, 1924.
30. Schacht sur la diffusion des formes d'architecture religieuse musulmane à travers le Sahara . T.I.R.S 1954.

ملامح التواجد اليهودي بمدينة طنجة

البشير البونوحي

الدرجة العلمية: الدكتوراه

البلد: المغرب

تقديم

تعتبر قضية الاختلاف الديني من القضايا التي شغلت الفكر الإنساني على مر التاريخ، باعتبار المكانة الرئيسية للدين كمحدد للاختلاف بين الأمم والشعوب والحضارات. فجل المجتمعات البشرية احتضنت منذ القدم أقليات^{xii} وطوائف عرقية أو دينية أو مذهبية أو لغوية أو ثقافية، وما كان المغرب ليشكل استثناء من هذه القاعدة، بحكم موقعه الجغرافي المنفتح على عوالم متنوعة، فقد ظل ملتقى لعدد من الثقافات والديانات المختلفة، في مقدمتها الديانات الكتابية الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام، وشكلت حقبة العصر الوسيط البوتقة التي التأمّت فيها هذه الديانات في المغرب الأقصى.

المغرب الإسلامي باعتبار مساره التاريخي قبل الإسلام وبعده المتمثل خصوصا في تعاقب الهجرات البشرية عليه، ومنها هجرات اليهود منذ العصر الفينيقي، وفي ظل ارتباطه التاريخي بالأندلس وما تميزت به من تعدد ديني انعكست آثاره واضحة على بلاد المغرب من خلال استقباله لأفواج النازحين المسلمين واليهود بعد طردهم منها.

بيد أن اهتمام أغلب الدراسات التاريخية التي اعتمدت بالحقبة الوسيطة في المغرب انصبّت على "الأغلبية المسلمة"، في حين شمل النسيان باقي مكونات المجتمع المغربي، خاصة الأقليات الدينية، إلى حدود العقود القليلة الماضية إذ حازت "الأقلية اليهودية". بعض الاهتمام من طرف عدد من الباحثين.^{xii} لذلك سنحاول التطرق إلى أوضاع اليهود بمدينة طنجة خلال العصر الوسيط، باعتبارهم مكون من مكونات المجتمع المغربي في تلك الفترة، وعلاقته بباقي مكونات هذا المجتمع.

إن موضوع يهود طنجة من المواضيع المهمة في تاريخ المغرب في العصور الوسطى التي لم تأخذ حقها من الدراسة والبحث الذي مازال بعيدا عن اهتمامات الدراسين، لأن الدارس تعوزه المادة المصدرية الكافية، إذ لا يقف إلا على شذرات متفرقة في مصادر شتى.

لابد أن نشير في البدء إلى شح المادة المصدرية في هذا الموضوع، وغياب معطيات واضحة للاستناد إليها لتقدم صورة واضحة في الفترة الوسيطة، ومع ذلك سنحاول استقرار بعض الإشارات المصدرية التي أمكن جمعها وتهم حياة اليهود بطنجة عبر محطات زمنية مختلفة من العصر الوسيط.

إن فقر المصادر المكتوبة وضعف الروايات الشفوية المتأثرة جدا بالبعد الأسطوري، وصعوبة الوصول إلى الوثائق الخاصة أو ذخائر المكتبات العامة غير المحصية، وتقصير الأبحاث الأثرية... كل ذلك جعل حتى الآن من أحداث العصر الوسيط أحداثا لم تستجل بعد غوامضها، وحتى لحمة الأحداث تتوارى أحيانا في روايات غامضة ومتناقضة، خصوصا فيما يتعلق بموضوع الأقليات في المغرب.

الإسلام واليهود:

الإسلام لم يتعامل مع غير المسلمين كونهم أقليات منفصلة عن الأمة، فأهل الكتاب كانت لهم حقوق المواطنة الكاملة يمارسون عبادتهم بكل حريتهم، والإسلام في إطار اعترافه بأهل الديانات المختلفة عرف غير المسلمين بأهل الكتاب أو أهل الذمة، والمقصود أن يكون هؤلاء في ذمة الله ورسوله أو في أمان الله، وذمة الله ورسوله مرتبة كريمة وحماية جليلة وإن ساءت إليها الممارسات في العصور المتأخرة حتى باتت كلمة الذمة تحمل في إطار التفسيرات المتعصبة بمعنى المواطنة من الدرجة الثانية.

يقول شهاب الدين القرافي: " إن عقد الذمة يوجب لهم حقوقا علينا لأنهم في جوارنا، وفي ذمتنا، وذمة الله تعالى وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذمة دين الإسلام".^{xii}

لقد أصر الإسلام على وجوب اصطناع الرفق مع رعايا الدولة الإسلامية ممن لم يعتنقوا الإسلام ويوصي بحسن معاملتهم والتزام العدالة معهم تنفيذًا لوصية الرسول العادل الكريم الذي قال: "من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيبه".^{xii}

تكفل الإسلام لليهود بحريتهم الدينية ومساواتهم مع المسلمين في كافة الحقوق والواجبات^{xii} فحياة الذمي عند الإمامين أبي حنيفة وابن حنبل كانت تكافئ حياة المسلم وأن دينه هي نفس دية المسلم^{xii}، ويقال أن النبي صلى الله عليه وسلم والخليفة عمر قد أباحا دم المسلمين الذين يقتلون أهل الذمة غيلة، ولقد طالب كل من الخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان بدية الذمي كاملة غير منقوصة كما في حالة المسلم تماما.^{xii}

إن اليهود في ظل الحكم الإسلامي تمتعوا بحقوقهم المدنية والدينية كاملة تماشيا مع سياسة التسامح التي كفلها الإسلام لأهل الذمة، وأصبحوا بذلك عناصر فعالة في المجتمع تتمتع بحماية الشريعة الإسلامية.^{xii}

والأكثر من ذلك فالإسلام كفل لليهود حقوقا تمتعوا بها طوال التاريخ الإسلامي، وهي حقوق شملت صيانة وحماية أرواحهم، وأعراضهم، وأمواهم، كما ضمنت لهم حرية العقيدة وممارسة الشعائر وقد

أباح لهم الإسلام حق مصاهرة المسلمين بالتزوج من نسائهم، وأكل ذبيحتهم.^{xii} كما أعطاهم فرصة المساهمة في جميع نواحي الحياة شأنهم في ذلك شأن المسلمين،^{xii} ولذلك رسخت أقدامهم في الصنائع التي تدر الأرباح الوفيرة فكانوا تجارا وصيارفة وجها بذه وأصحاب ضياع وأطباء^{xii}.

من هنا نستنتج أن اليهود لم يكونوا منبوذين في الدولة الإسلامية مثلما كان حالهم في المجتمعات الأوروبية حيث يسكنون في أحياء خاصة بهم مغلقة عليهم^{xii} (عرفت بالجيتو)، بل كانوا يسكنون مع المسلمين إن شاءوا ذلك لأنه لم يكن في المدن الإسلامية أحياء مخصصة لغير المسلمين، بحيث لا يتعدونها.^{xii}

وكما نرى فإن الإسلام تعامل مع أهل الذمة بحرية تامة ومساواة بينهم وبين المسلمين خصوصا في أمور الدولة فكان لهم مثل ما للمسلمين وعليهم مثل ما عليهم، تؤخذ منهم الجزية^{xii} للمصالح العامة كما تؤخذ الزكاة من المسلمين لهذه المصالح.

إذن وتحت ظل راية التسامح الإسلامي تمتع اليهود بكافة حقوقهم المدنية منها والدينية دون نقصان، وأحتضنهم المسلمون بكل مودة وعطف وحماية عندما تعرضوا للاضطهاد والتشريد والتكيل من طرف مسيحيي أوروبا خلال العصور الوسطى.

وصول اليهود الى المغرب الأقصى:

لقد وضعت المصادر التاريخية مجموعة من الفرضيات للتأريخ لبداية التواجد اليهودي في شمال إفريقيا ومنها : أنهم وصلوا برفقة الفينيقيين في عهد سليمان (القرن 10 ق.م). والفرضية الثانية أنهم وصلوا في عهد مستعمرة قرطاجنة (القرن 9 ق.م) والفرضية الثالثة أنهم وصلوا بعد دمار الهيكل الأول (القرن 6 ق.م).^{xii}

وتتفق معظم المصادر أن اليهود جاءوا إلى المغرب عن طريق ثلاث هجرات متفرقة:

- **الأولى:** جاءت من فلسطين بعد الأسر البابلي عندما هوجمت أورشليم في عام 587 ق.م وأسر يهودها الذين تم ترحيلهم إلى بابل^{xii} ويسمون أنفسهم البلشثيم.^{xii}
- **الثانية:** جاء فيها اليهود مع الفينيقيين، الذين وصلوا إلى المغرب، (بلاد ترشيش)^{xii}، حيث اتصلوا بالبربر ولهذا يوجد يهود من أصل بربري.^{xii} وذلك واضح من خلال اللغة والتقاليد و العادات.^{xii}

● **الثالثة:** كانت في العصر الروماني في القرن الأول الميلادي، وقد جاءوا من فلسطين وانتشروا بالمغرب^{xii}. بعد اضطهاد الرومان لهم حيث وصلوا إلى كل من شالة، تطوان، الرباط، مكناس، ومراكش، ودرعة، وطنجة، والريف وسبتة^{xii}. وإن كان هذا الانتشار محدودا بين السكان المحليين وهم البربر^{xii}.

التواجد اليهودي في منطقة شمال إفريقيا تزايد كلما تزايدت موجة الاضطرابات والأزمات التي كانت تجتاح فلسطين، خاصة في أيام الحكم اليوناني.

وقد أكدت المكتشفات الأثرية فرضية أن بداية التواجد اليهودي الحقيقي في المنطقة المغربية ترجع إلى نهايات القرن الثاني بعد الميلاد. ففي منطقة طنجة ثم العثور على أواني خزفية مرسوم عليها شمعدانات ذات سبعة عروش^{xii}. رغم أن العديد من الباحثين يعتقدون أن اليهود لم يصلوا المغرب إلا عام 1492م حين طردتهم إسبانيا منها.

وبناء على ذلك فإنه يمكن القول إن بداية التواجد الفعلي لليهود في المنطقة المغربية بدأ مع بداية القرن الثالث الميلادي، حيث أقام الوافدون الجدد في أوساط قبائل الأمازيغ "البربر" المنتشرة في مختلف ربوع بلاد المغرب، وكان من نتيجة هذا أن تأثر يهود المغرب بكثير من العادات والتقاليد الأمازيغية وحمل تراثهم طابعا أمازيغيا واضحا^{xii}. وهنا يقول حاييم الزعفراني "وقد أصبحت النظرية التي تفترض بأن جل اليهود المغاربة برابرة أصلا، والتي يقول بها بعض المؤرخين، متداولة ومسلمة ثابتة^{xii} إلى درجة أن اليهودية دخلت بكيفية عميقة إلى المغرب^{xii}. وهنا يذكر ابن خلدون أن هناك مجموعة من القبائل المغربية التي تهودت مثل كندلاوة ومديونة وبهاللة وغيثانة وبنو فزاز^{xii}.

يبدو أن اليهود لجأوا إلى المغرب لما وجدوا فيه من الأمان وعدم اعتبارهم كمواطنين من الدرجة الثانية، بعد القتل والتشريد^{xii} الذي تعرضوا له في العالم العربي. مما كان له أكبر الأثر في حمل اليهود على الهجرة إلى بلاد يجدون فيه المعاملة الحسنة، فكان العالم الإسلامي على النقيض مع العالم المسيحي في هذا الصدد، وتقاطرت أفواج أخرى من يهود الأندلس بعد فتحها^{xii} ولم تكن هذه الوفود المتعاقبة من المهاجرين اليهودية إلى البلاد المغربية من أصل واحد، وإنما من سلالات مختلفة^{xii}.

تجدر الإشارة إلى وجود تنوع أثني وثقافي بين يهود المغرب أنفسهم، فهناك يهود الداخل وجبال الأطلس وهؤلاء عاشوا في كنف القبائل الأمازيغية، بل أن بعض المصادر ترجع أصولهم إلى قبائل أمازيغية متهودة، وهناك يهود الساحل، وهم اليهود السفارديم الذين توافدوا على المغرب بعد سقوط دولة الأندلس وطرد المسلمين واليهود منها: "وقد استقر هؤلاء بداية في المدن الساحلية كالرباط

والصويرة والعرائش والقنيطرة وطنجة وتطوان وغيرها ثم بدعوا بالتنقل إلى مدن داخلية مثل فاس ومراكش ومكناس " .^{xii}

وقد حاولت كل مجموعة المحافظة على بعض مميزاتها، إلا أنهم بعد أن انتشروا في أماكن عديدة من أرض المغرب، امتزجت عاداتهم وتقاليدهم، وكان أثر الحضارة العربية في المجموعتين أكثر قوة، وهذا أمر هياها للريادة الفكرية والتجارية.^{xii}

لقد عاش اليهود جنبا إلى جنب مع المسلمين في المغرب وتمتعوا بحرية الإسلام وعدالته، مع العلم بأن الحكام المغاربة لم يصدروا أية قوانين أو تشريعات خاصة باليهود وهذا دليل على أنهم كانوا متساويين مع باقي السكان، ولم يمتازوا عن سواهم إلا بالابتعاد عن الأزياء التي تحمل طابع الدين، إضافة إلى إخضاع اليهود والنصارى على حد سواء لقانون أهل الذمة، كما كان الحال بالنسبة لإخوانهم الاشكيناز بالمشرق، وهو الوضع القانوني للرعايا غير المسلمين في الدولة الإسلامية آنذاك، وقد حددت الشريعة الإسلامية وبينت واجباتهم وحقوقهم على أساس ما جاء في القرآن الكريم.

وكان اليهود يتعاملون مع المسلمين المغاربة بالبيع والشراء والطعام والمدايا " بشرط ما يجوز شرعا وقبل المسلمين منهم هداياهم في عيد الفطيرة. " ^{xii} ولذلك عاش اليهود داخل المجتمع المغربي كجزء منه ووصلوا إلى أعلى المناصب. كما كان لهم الحق في ترميم معابدهم وإعادة تشييدها ولا يسمح لهم بإقامة معابد جديدة في أماكن فتحها المسلمون، سواء أكانت هذه الأماكن فتحت صلحا أو عنوة " وإن كان في قرية يملكونها منفردين لم يمنعهم إحداث كنيسة ولا رفع بناء ولا يعرض لهم في خنازيرهم وخرهم وأعيادهم وجماعاتهم وأخذ عليهم أن لا يسقوا مسلما أتاهم خمرا ولا يبيعونه محرما ولا يطعمونه إياه. " ^{xiii}

ومهما كانت الأصول التي انحدر منها المغاربة اليهود، فإن هذه الأقلية انصهرت في المجتمع المغربي وأصبحت تشكل جزءا من كيانه وحضارته في الإطار الذي كانت تسمح به الشريعة الإسلامية، فسموا أهل الذمة. ^{xii}

أهمية مدينة طنجة تاريخيا :

تحدثت العديد من المصادر عن مدينة طنجة وتاريخها، فهناك من نعتها بالمدينة الأزلية وهناك من نعتها بالخالدة ^{xii}. هذه المدينة ذاع صيتها في مختلف العصور، وأسهمت في رسم مسار الحضارات بالبحر الأبيض المتوسط، فلقد كانت فعلا عروس المتوسط، يرغب كل غريب في احتوائها وبسط سلطته عليها، فتعدد خطابها وطالبوا القرب منها، والساعون وراء ودها، ووطئت ترابها أجناس وأقوام، وذبحت

على شواطئها الالف الفرسان، فأصبحت عبر الزمن مدينة الأساطير وكل فريد وعجيب.^{xii} ونادر وغريب.

قال عنها الإدريسي وقيل أن طنجة آخر حدودها إفريقية في المغرب، والمسافة ما بين طنجة والقيروان 1000 ميل وأن ملوك المغرب من الروم وغيرهم من الأمم كانت دار مملكتهم مدينة طنجة".^{xii} وهي من الموانئ المهمة في بلاد المغرب الأقصى قال عنها ابن حوقل: "طنجة مدينة أزية آثارها بينة وأبنيتها بالحجارة قائمة على وجه البحر سكنها أهلها قديما ... وأكثر أموال أهلها من الزرع حنطة وشعير وحبوب وماؤها مجلوب إليها".^{xii}

وعن اسم طنجة، هناك حكاية غريبة تقول " أن اسم طنجة آت من حكاية طيف، جاء مضمونها على ما يقصون أن نبي الله نوحا عليه السلام لما ركب السفينة وحمل بها من كل حيوان موجود إذ ذاك كان من جملة المحمول بها الحمام فطار يوما منها ثم عاد وبرجليه أثر طين فاستبشر ركبها وقالوا طين جاء فسمى المحل الذي وقع بهم اذكر طنجة بعد الحذف وتسهيل ".^{xii}

تقع طنجة على شاطئ البحر المتوسط وهي محط للسفن اللطاف الريح الشرقية تؤدي فيه - حسب البكري - وهي طنجة البيضاء.^{xii} وإذا حفرت خرائب طنجة وجدت فيها أصناف الجواهر، فيدل ذلك على أنها كانت دار مملكة لأمم سالفة، وسميت بهذا الآن أرضها تحمل الزرع دون حرث، وكان سكانها أثرياء، وكان اهتمامهم كبير بالنشاط التجاري لاسيما زراعة الحبوب ويبدو أن ثروتهم جاءت من الزراعة الواسعة للحبوب التي كانت ليست للاستهلاك فقط بل للتصدير أيضا.^{xii}

لقد ساهمت طنجة وضواحيها بقوة في أحداث العالم القديم والغرب الإسلامي، منذ العهود القديمة مرورا بالفتح الأول وبالأحداث الكبرى التي عرفتها بلاد المغرب وفتح الضفة الشمالية من المضيق، إلى غاية مطلع القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، عندما أصبحت تحت مرمى قادة حروب الاسترداد المسيحي.

تحدث مارمول بإيجاز عن هذه المرحلة قائلا: " كانت طنجة مزدهرة ... الدور حسنة البناء، يسكنها عدد من أعيان موريطانيا الطنجية ... وحيث أن السكان أنفسهم شجعان فإنهم كانوا يغزون الشواطئ على متن سفن حربية... "^{xii}

أما حديث الحسن الوزان عنها فلا يختلف كثيرا عن سابقه، " ومازالت طنجة مدينة متحضرة شريفة مأهولة بأحسن العناصر عن السكان، مشتملة على قصور جميلة قديمة وحديثة ... تكثر فيها

الحدائق التي تنتج البرتقال والليمون وغيرها من الثمار ... عاش سكان طنجة عيشة راضية إلى أن سقطت أصيلا.^{xiii} فموقعها وطبيعة مناخ محيطها يؤهلها لتكون مصدر جلب للأنظار ومنية للاستقرار، فتوافد عليها المهاجرون من شتى البقاع، لكن أشهر الهجرات التي تلقتها قبل هذه المرحلة هي هجرة الأندلسيين الذين ازداد تدفقهم على حواضر وبوادي شمال المغرب بعد سقوط المدن الأندلسية الكبرى كقرطبة وبلنسية وإشبيلية في يد المسحيين فكانت طنجة وباديتها، خاصة تلك التي تقابل السواحل الأندلسية، أول المستقبلين لهؤلاء المهاجرين، المثقلين بأحماهم المادية والمعنوية، وما أن استقروا بهذه البقاع حتى تبعهم الأيبيريون في حرب صليبية نقلوا رحاها إلى أرض شمال إفريقيا.

طنجة ونظرا لأهميتها الاستراتيجية فإنها ستدخل ضمن حسابات الأدارسة السياسية منذ وصولهم المغرب، والأكد أن السياق والتنافس الخفي بين أدارسة المغرب الأقصى وأمويي الأندلس حول هذا المعبر الحيوي قد انطلقت شرارته الأولى خلال هذه المرحلة المبكرة لتأسيس الإماراتين.

بعد الأدارسة لعبت طنجة دورا مهما في عهد المرابطين بعد فتحها على يد يوسف بن تاشفين عام 470هـ / 1077م، "وعندما اقترب المرابطون منها - أي طنجة - برز إليهم الحاجب سكوت على رأس جيشه وهو شيخ يناهز التسعين وقال: "والله لا يسمع أهل سبتة طبول اللمتوني وأنا حي أبدا". وكان معه ابنه ضياء الدولة يحيى، وجرت المعركة في وادي منى من أحواز طنجة قتل فيها الحاجب وانهمز جيشه والتجأ ابنه يحيى إلى سبتة واعتصم بها، ودخل المرابطون مدينة طنجة وكتب القائد ابن عمران بالفتح إلى الأمير يوسف".^{xii}

كانت طنجة محط الأطماع البرتغالية، لأن هذه الأخيرة كانت مصرة على احتلالها، وذلك بمحاولات عدة، خصوصا عندما قام الملك البرتغالي ادوارد الأول بتكليف ابنه دون فرناندو بمهمة احتلالها سنة 841هـ / 1437م.^{xii} هذه المحاولة باءت بالفشل وسقط هذا الأمير في أيادي الجيش المغربي.

بعد هذه الحملة الأولى جاءت حملة ثانية في عهد الملك الفونس الخامس حيث فشلت كسابقها في السيطرة على طنجة سنة 862هـ / 1458م، رغم أنهم كانوا مدعومين بأسطول حربي مكون من 80 قطعة و 1700 مقاتل، لكن وحسب صاحب الاستقصا- ثم تغيير وجهتها نحو قصر الجاز.^{xii}

نغر طنجة لم يسلم من المحاولات المتكررة للبرتغاليين، وكانت كل مرة تواجهه ببسالة المجاهدين المغاربة. لكن ذلك لم يثني البرتغاليين من محاولة السيطرة على طنجة رغم الخسائر التي كانوا يتكبدها.^{xii}

سكان طنجة كانوا يحاربون لوحدهم نظرا لضعف الدولة الوطاسية في فاس، وإزداد الضغط والحصار بعد سقوط أصيلا في يد الملك البرتغالي، مما إضطر الساكنة بمدينة طنجة إلى مغادرتها" وأخذوا كل ما أمكنهم أن يأخذوه وكسروا الباقي لثلا يستعمله العدو".^{xii} وذكر الحسن الوزان أن سكان طنجة بعد أن بلغهم الخبر أخذ كل واحد منهم أثن مايملك وغادر المدينة ملتجئا إلى فاس.^{xii}

وبالفعل بعد إحتلال أصيلة بأربعة أيام جهز الملك البرتغالي حملة عسكرية استطلاعية تمكنت من دخول المدينة دون قتال في 11 ربيع الأول 876 هـ / 28 غشت 1471م، حسب مارمول.^{xii}

حياة اليهود بمدينة طنجة :

انتشر صيت مدينة طنجة عبر مؤلفات تاريخية ورحلات ومسكوكات ومنحوتات مختلفة لكن عندما يريد الباحث دارس موضوع اليهود في فترة العصر الوسيط يصطدم بقلة المصادر التي تناولت اليهود في هذه المنطقة.

اسم طنجة يتردد في العديد من المصادر التاريخية والجغرافية وسيقت حولها معلومات كثيرة، وحتى نعطي لهذه الحاضرة حقها، سنحاول تناول بعض جوانب حياة اليهود في العصر الوسيط بمدينة طنجة في محاولة لرصد أهم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لهذه العناصر وذلك عبر إستنتاج مصادر الفترة الوسيطة.

الحياة الاقتصادية:

لعبت طنجة على المستوى الاقتصادي دورا مهما لأنها تتوفر على كل المؤهلات للقيام بهذه المهمة، فهي تطل على واجهتين بحريتين، ومعب حيوي نحو الضفة الأندلسية، وقبله لمختلف العمليات التجارية، أي أن أدوارها متعددة ومتداخلة بين السياسي والتجاري والعسكري ... الخ.

لقد استفاد التجار اليهود من موقع طنجة، فهومن الناحية الجغرافية على إتصال بأوروبا وإفريقيا وتراقب بين البحر المتوسط والمحيط، مضيق جبل طارق، ومن ناحية أخرى كانت طنجة مرآ تجاريا للمدن المغربية الشمالية الجنوبية، تساعد تطوان التي كانت كذلك مدينة تجارية.

ونتيجة لقرها من بلاد الأندلس كانت حركة السفن التجارية لا تنقطع، وكانت تصدر إليها الأندلس القمح والسكر والكروم والتمر^{xii} ومعظم التجار الذين كانوا يهتمون بهذه التجارة هم اليهود لمعرفتهم بأكثر من لغة ولشبكتهم الواسعة في جميع بلدان المتوسط.

ومن أهم المواد التي كان يجلبها اليهود إلى طنجة وباقي مدن المغرب، وقد سجلها ابن حوقل قائلا: "الزئبق والحديد والرصاص ومن الصوف قطع كأحسن ما يكون من الأراضي المحفور الرفيع الثمن إلى حسن ما يعمل بها من الأغاط ولهم من الصوف والأصباغ فيه... وبالأندلس مصبغ الليودة المغربية المرتفعة الثمينة والحريز وما يؤثرونه من ألوان الخز ويجلب منها الديباج"^{xiii} ومن خلال قائمة ابن حوقل نجد أن التجار المغاربة وخاصة اليهود، كانوا يستوردون منتوجات وسلع كثيرة ومتنوعة من الأندلس وهذا يرجع إلى العلاقات المكانية والتجارية بين الجانبين^{xii} خاصة المستوردة إلى طنجة وسيتة.

كان اليهود يعتمدون على التجارة لكسب رزقهم، كما اعتمد أهل البلاد على اليهود اعتمادا كبيرا لتزويدهم بكل متطلباتهم من السكر والشاي والأقمشة التي أوصلوها عن طريق الباعة المتجولين إلى أقصى المناطق النائية في الداخل، وفي الجبال، فاليهودي بعمله كان أشبه بالدكان المتنقل، فهو يعرض خدماته ويقدم القروض بفوائد مرتفعة، وفضلا عن ذلك، نجد أغلب اليهود في ذلك قد حصلوا على ثروات نتيجة السمسرة والمراباة والقيام بدور الوساطة في كل العمليات التجارية مهما كانت بسيطة.

ومن جهة أخرى- حسب مصادر الفترة الوسيطة - كسب أغلب اليهود ثروات طائلة من تجارتهم خاصة الدور الذي كانوا يلعبونه كوسطاء في افتداء الأسرى. لتمتعهم بمستوى رفيع من التكوين والتدريب بالإضافة إلى مرونة الشخصية ومعرفتهم باللغات السائدة في حوض البحر الأبيض المتوسط وإلى العلاقات التقليدية التي تربطهم مع مختلف البلدان.

وبذلك تمكن اليهود من احتكار التجارة الخارجية التي كانت بيدهم خلال هذه الفترة، أكثر من أي وقت مضى، بفضل المكانة الممتازة التي اكتسبها بسرعة لدى تجار البيوت التجارية في البلدان الأوربية والإفريقية، فكانوا يستغلون مهارتهم التجارية وفرصة انعدام البنوك في تنشيط التجارة وخلق القروض والضمانات بفوائد خيالية إلى أن أصبحوا من كبار الأثرياء.

يهود طنجة وبفضل الموقع المهم للمدينة اهتموا بالتجارة بشكل كبير خاصة التجارة الخارجية وللأسف لم نستطع التوصل إلى أسماء الشخصيات اليهودية أو بعض العائلات التي نشطت في هكذا ميدان، إلا أن المؤرخين أشاروا إلى الاهتمام الكبير لليهود بالتجارة على مستوى أكبر ومتجاوز لمدينة طنجة وتطوان وسبتة، ونعني هنا تجارة البحر الأبيض المتوسط، فإن خرداذبة^{xiii} ذكر أن اليهود لعبوا دورا هاما في تجارة الشرق الإسلامي في العصور الوسطى الأولى، وأنهم كانوا يقومون بالترحال من غرب أوربا إلى بلاد الشرق ويعبرون البحر الأحمر إلى الهند- مرورا بالمغرب الأقصى وشمال إفريقيا- وأطلق ابن خرداذبة على هؤلاء التجار اسم الريدانية أو الرازانية.^{xiii}

هذا الاهتمام للتجار اليهود وجد مع الحرية التي تمتعوا بها من طرف حكام المغرب، وبسبب كذلك عدم وجود أية صعوبة في التنقل بين مناطق البلاد.

كما أن مدينة طنجة التي ارتبطت مع المغربين الأوسط والأدنى بطريق بحري^{xii} لعب ميناؤها المطل على بحر الزقاق دورا مهما في تجارة يهود المدينة حتى وصف بالحط والإقلاع^{xii}. وهذا دليل على كثرة السفن التي ترسو بهذا الميناء وكثرة تعاملاته التجارية، وقدرت المسافة بين مينائي طنجة وسبتة وبلاد الأندلس بثمانية عشر ميلا.^{xii}

إن يهود طنجة كما ذكرنا آنفا كان لهم اهتمام بالتجارة الخارجية لمعرفتهم بلغات عدة، فقد ذكر الأستطخري في القرن الرابع هجري والعاشر ميلادي، وهو يتكلم عن مياه البحر المتوسط قائلا: " وما بحر الروم فإنه خليج من البحر المحيط بين بلاد الأندلس وبين البصرة من بلاد طنجة وبين جزيرة جبل طارق من أرض الأندلس عرضه اثنا عشر ميلا ثم يتسع ويعرض فيمتد على سواحل المغرب مما يلي شرقي هذا البحر حتى ينتهي إلى أرض مصر حتى تنتهي إلى أرض الشام.^{xii}

من هذا الوصف نستطيع القول أن مياه البحر المتوسط استخدمت كطرق تجارية بين طنجة وبلاد الشام.^{xii} وهذا يعني أن هذا الطريق كان من أبرز تجاره: اليهود القاطنين بطنجة، كما أشار الزهري إلى خط تجاري يربط طنجة بالمغرب الأقصى وعبر بلاد المغرب والإسكندرية ويصل إلى الشام.^{xii} كما أن السفن يمكن أن تسير من طنجة إلى جزيرة طريف والجزيرة إلى مالقة، وألميرية ومنها إلى سواحل الأفرنجية (فرنسا) ومنها بلاد البنادقة (جنوب إيطاليا). و القسطنطينية.^{xii}

هذا الموقع الاستراتيجي الذي امتازت به طنجة استغله يهود المدينة، وفتح لهم آفاقا واسعة للنشاط التجاري، فالمدينة التي تطل على واجهتين بحريتين جعلت منها موقعا تجاريا، إضافة إلى أنها كانت حلقة وصل بين الداخل المغربي والصحراء مع أوروبا والأندلس، لذلك نجد سلاطين بني مرين قد حرصوا على استحداث تنظيمات على مختلف الطرق التجارية ومن بينها الرابطة بين طنجة وفاس.^{xii}

التجار اليهود كانوا بمثابة وسطاء وسماسرة،^{xii} للتجار الأوربيين بالمغرب لإتقانهم عدة لغات،^{xii} كما كانوا إلى جانب الأعراب وبعض القبائل بمثابة النافذة المفتوحة لأوروبا على المغرب، وكانوا الوسيط وأحد الأطراف الأساسية العاملة في التجارة المغربية.^{xii} كما كان لكل جماعة يهودية متمركزة في ميناء طنجة وبادس وسبتة رسول خاص بها ينبهها بوصول القوافل والسفن القادمة من البلاد الأجنبية، وإلى أهمية شحناتها ونوع السلع التي تنقلها، وترتبط بعلاقات مع الضامنين الذين يقومون بإيواء التجار

القادمين على متن هذه السفن، وكان لكل جماعة يهودية أيضا قاض خاص يحكم في معاملاتها التجارية ومراقب لهذه المعاملات والأسواق.^{xii}

وكان التجار اليهود مغاربة وغير مغاربة يتعاملون فيما بينهم متخذين من الوكالة نظاما للتعامل، حيث كان الوكيل يوزع بضائعهم على التجار الصغار لبيعها لحسابهم.^{xiii} وقد كان للتجار اليهود دور أقوى من التجار المسيحيين في المجالات الاقتصادية، لكثرة حركتهم وتغلغلهم في المجتمعات الإسلامية.^{xii}

كان يهود طنجة يتسوقون الأسواق الأسبوعية والشهرية والسنوية كذلك خاصة في مدينة أصيلة التي كان سوقها حافلة يوم الجمعة، وسوق جامعة ثلاث مرات في السنة وذلك في شهر رمضان وفي عشر ذي الحجة وفي عاشوراء.^{xii} فطنجة احتوت على أسواق بالرغم من أهمية مدينة سبتة في التجارة خاصة البحرية.^{xii} وكان لليهود دورا مهما في سوقها.

النشاط الصناعي والحرفي:

تجدر الإشارة إلى أن اليهود غير معروفين بالزراعة، خلال العصر الوسيط، وقد كان معظمهم يشتغل في الصناعات الحرفية والتجارة وأعمال أخرى، فقد عمل اليهود في مختلف الحرف لاسيما الأعمال التي تتطلب المهارة والنشاط، وتفوقوا بها على سائر أهل البلاد، فلم تكن هناك صناعة إلا وزاولوها، ومن الصناعات المهمة التي ارتبطت بالوجود اليهودي بطنجة والمغرب عامة صناعة الذهب والفضة التي برعوا فيها بشكل لا يجاريهم فيها أحد، وفي سك العملة وفي سك المعادن، وفي الصقل والنقش على النحاس، وفي الحدادة، وفي السمكرة، وفي السراجة، وفي صناعة الأواني.^{xii}

ونادرا ما كان المسلم يمارس مهنة صائغ، إذ كان ينظرون إلى الذي يبيع الأشياء الذهبية بسعر أعلى من الذي يساويه وزنها على أنه ربا، ولذلك كان السلاطين يعطون اليهود الترخيص بممارسة هذه الصناعة.^{xii}

يهود طنجة كغيرهم من يهود المغرب كانوا يشتغلون في هذه الحرف المختلفة، كما اشتغلوا في دور سك العملة وتجارة الأحجار الكريمة.^{xii} خاصة المرجان المستخرج من شواطئ سبتة ولقد عارض الفقهاء اشتغال اليهود في دور السكة، لأن الإمام مالك أوصى بذلك احتراما للفظ الجلالة الذي يكتب عليها، ورغبة في الاطمئنان على وزنها.^{xii}

كان ليهود المغرب ومنهم يهود طنجة دور كبير في صناعة الحرير، فكان الحرفيون اليهود يشتركون في هذه الصناعة.^{xii} وكذا صناعة الملابس الجاهزة، والموشية والمزركشة، وفي صناعة المشط لنفش الصوف وفي صناعة القبعات، وفي صناعة وتطريز الثياب^{xii}، وفي صناعة الصابون والشمع والعطور، وصناعة الخمر، وعصر الزيوت وطحن الحبوب، وغيرها..

وكانت داخل مدينة طنجة حسب بعض إشارات المؤرخين أسواق خاصة بكل مجموعة من مجاميع الحرف المختلفة، وقد تمتع اليهود بحرية واستقلال ذاتي كامل في هذه الأسواق وفي مختلف المهن المغربية، مع أخذهم في الحسبان تطبيق الأسعار التي كانت تطبق في المدينة.^{xii}

كان الحرفيون اليهود يخضعون إلى قواعد مهنية تحددها الأعراف والتقاليد، كما كان يجتمع حرفيي نفس المهنة في جماعات تسمى الرابطة، مثل رابطة "الصرافين" و"رابطة" الخياطين و"رابطة" النساخ.^{xii}

الحرفي كان يتمتع بسمعة جيدة في المجتمع اليهودي، وكان بعضهم يتقلد وظائف قيادية في الطائفة اليهودية. وممارستهم هذه المهن أسفرت عن ثرائهم حتى أضحت صورتهم في المجتمع ملازمة للنعمة، "إذ لا يزالون غالبا الحاضرة: ومحل الخصب والرفاهية."^{xii}

إضافة إلى ذلك أشارت العديد من الأبحاث إلى قدم عملية التصبير (تصبير السمك) عند المغاربة وبخاصة في المناطق الممتدة بين طنجة واللكوس،^{xii} وقد أكدت الأبحاث الأثرية التي أجريت في المنطقة على وجود صناعة تصبير السمك.^{xii} تمتد على عشر مجموعات صناعية قدرت أحواضها ب 147 حوضا بسعة تصل إلى 1013 م مكعب^{xiii} ومع اهتمام يهود طنجة بالتجارة وبعض الحرف خاصة المدرة للدخل فإن هناك احتمال كبير لاشتغال يهود المدينة في هكذا تجارة، خاصة إذا كان ربحها كبير ومضمون، مع العلم أن هذه الصناعة استمرت طيلة المرحلة الوسيطة، لكن رغم تعدد النصوص والإشارات التي تفيد شيوعها في العديد من الجهات. فإننا لا نملك نصوصا تفصل في مراحل هذه الصناعة، مما يبقي المجال مفتوحا أمام العديد من التساؤلات من قبيل كيفية الحصول على مواد التصبير؟ ولجوء المغاربة إلى هذه الطريقة التي قدم تنم عن كثرة الإنتاج التي تدفع السكان إلى الاحتفاظ بالأسماك مصبرة لاستهلاكها في أوقات الندرة؟

رغم أهمية هذه التساؤلات فإن الإجابة عنها صعبة في ظل غياب وثائق تهم الموضوع مباشرة، ويبقى الأمل معقودا على ما يمكن أن تكشف عنه الأيام من وثائق جديدة وتطور الأبحاث في ذلك.

الحياة الاجتماعية ليهود طنجة:

رغم تاريخ طنجة العريق فإن المعلومات ومصادر الأخبار تشح عن ساكنتها وديموغرافيتها خلال حقبة طويلة من تاريخها. فيضطر الباحث إلى التنقيب في مابين سطور المصادر واستقراء الإشارات الواردة فيها وإعادة تركيبها وفق تصور جديد يخدم موضوع البحث.

قبل أن نتناول جوانب هذا الموضوع تجدر الإشارة إلى أن اليهود لم يشكلوا وحدة عنصرية عرقية، بل كانوا جماعات ترتبط بالدين والتقاليد والعادات، فالموجات المتتالية التي جاءت من أنحاء حوض البحر المتوسط ومن ورائه قد طمست كل الميزات العرقية الواضحة في المنطقة، فبالإضافة إلى العنصر السامي القديم الذي جاء مع الفينيقيين منذ تأسيس قرطاج ثم بعد تهادم القدس في عهد تيوس، كان هناك عدد لا بأس به من البربر المتحولين إلى اليهودية، وقدمت من شبه جزيرة أيبيريا موجة أخرى، وقد لجأ اليهود إلى المدن المغربية ومن بينها طنجة^{xii}، هربا من الاضطهاد الديني الذي كانوا يلاقونه في هذه البلاد.

اندماج يهود طنجة مع ساكنة المدينة المسلمة، هذا الاندماج نجده في جميع المدن المغربية، فاستعرت ألسنتهم وأخذوا لباس المسلمين وأسلمت جماعات كثيرة مع الزمن وتقلدوا بالتقاليد والعادات العربية وأحرزوا الجاه والثروة والنفوذ.^{xii}

ورغم اعتناق بعض يهود طنجة ومدن أخرى مغربية وأندلسية في عهد الموحدين، إلا أن الموحدين كانوا يشكون في إسلامهم، لذلك ميزوهم بلباس يختصون به دون غيرهم.

ففي عهد أبي يوسف بن عبد المومن أمر أن يتميز اليهود بلبس ثياب كحيلة وأكمام مفرطة السعة تصل إلى أقرب من أقدامهم وأن يلبسوا بدلا من العمائم كلوتات كالبراد يع تبلغ إلى تحت آذانهم.

واستمروا على ذلك الحال إلى أن غيره أبو عبد الله بعد أن توسلوا إليه في ذلك فأمرهم بأن يلبسوا ثيابا صفرا وعمائم صفرا.^{xii}

أما في العهد الوطاسي فقد فرضت عليهم نعال خاصة كما ألبسوا بلبس عمامة سوداء أو طاقة تضاف لها قطعة من ثوب أحمر.^{xii} ويؤكد ذلك رحالة معاصر إذ قال إنهم كانوا يضعون على رؤوسهم عمامات سوداء، وعلى العمامة أو الطاقة خرقة ملونة وحتى على ملابسهم لتمييزهم عن غيرهم.^{xii} كما كانوا يضعون رقاعا على الأكتاف ويشدون الزنار في الوسط.^{xii}

أما نساؤهم فكان يلبس مثل نساء المسلمين^{xii} عكس الرجال اليهود الذين كانوا في احتكاك مستمر مع المسلمين، لذلك وجب تمييزهم عن ما يلبسه المسلم.^{xii}

يلاحظ من خلال تصفح العديد من المصادر أن هناك نوع من الاختلاف الثقافي، فالسلوكيات الثقافية ليهود المناطق الساحلية ذات التأثير الأوروبي تختلف بعض الشيء مما هو متبع لدى سكان المناطق الداخلية ذات الطابع التقليدي وتزداد درجة الاختلاف كلما اتجهنا نحو المناطق الصحراوية والجلبية المشبعة بالتأثير الأمازيغي.

السكان اليهودية أدمجت مع ساكنة طنجة المسلمة وشكل التعايش الديني عنصرا جوهريا في تاريخ طنجة الاجتماعي، كما كان في باقي المدن مثل مدينة تطوان، فاليهود كانوا مندمجين في حياة المدينة، مشاركين أهاليها المسلمين تقاليدهم ولهجتهم الشمالية وموسيقاهم وزينهم، ولم تكن دورهم تختلف عن دور المسلمين من حيث هندسة بنائها، سواء في طنجة أو في تطوان، ونستنتج من كلام صاحب عمدة الراوين في حديثه عن تطوان التي كانت تتوفر على حالة مهمة من اليهود، وهذا يعني أن الاستقرار كان بنفس الوثيرة في طنجة قبل احتلالها.

يقول عن تقاسم (الرقاقة) "نوع من الخبز يصنعه اليهود في عيد الفصح ويهدون منه لأحبائهم من المسلمين"^{xiii} وبغض النظر عن مساهمتهم في حياة المدينة، ساهمت الطائفة اليهودية بشكل فعال في إغناء اليهودية المغربية بفضل تأثير حاضيمها المشهورين بعلمهم الغزير وخاصة فيما يتعلق بعلم أصول شريعتهم وفروعها.

لليهود في طنجة عدة أعياد كما هو الشأن في باقي المغرب الأقصى خلال العصر الوسيط، وكانوا يحتفلون بأعيادهم بكل حرية نظرا لتسامح الدولة معهم، وضمان حقوقهم من طرف الشريعة الإسلامية وفي الواقع هنا ثمة حقيقة يصح قولها، وهي أن النظام المغربي في العصر الوسيط ترك لليهود حرية تنظيم أمورهم وعلاقاتهم الداخلية حسب شعائرتهم الخاصة وعباداتهم المرعية.

لدى يهود طنجة العديد من الأعياد كأعياد رأس السنة، وأعياد الحج الثلاثة أي حجهم ثلاث مرات في السنة إلى القدس لزيارة الهيكل، وعيد الفصح أو (الفسخ)، والعيد المسمى الأسابيع (شافوكت)، وعيد سكوت الخيام (الظل) وهو عيد زراعي يحتفل فيه بتخزين المحصولات الزراعية.^{xiii} كما كان لهم احتفال يسمى الاحتفال الصوفي بيوم السبت.^{xii}

ومن أكثر الأعياد التي كان يحتفل بها يهود طنجة : يوم كيبور (يوم الغفران)، ولهم في هذا اليوم مجموعة من الطقوس.^{xii} والهنوكاه أو عيد الأنوار، ويتم تخليده بكل سرية، ولا يتم إظهار الاحتفال إلا في

اليوم الأخير الذي تقفل فيه الحوانيت، وهذا اليوم يكون عطلة للأطفال.^{xii} وهناك البوريم (عيد إستير، يوم 14 آذار).^{xii}

إضافة إلى الأعياد كان لليهود نوع من الزواج يسمى الزواج القشتالي: وهو نظام يعطي مساواة قانونية عند فسخ عقد الزواج بسبب وفاة أحد الزوجين، كما كان اليهود يجرمون تعدد الزوجات.^{xii} وعند تعددهم يشترط العدل وذلك حسب القرائن^{xii} رغم أن التوراة تعترف بتعدد الزوجات ولا تحرمه، وفي العصر الوسيط، كان الزواج من غير اليهودية محرماً في المغرب.^{xii}

أما في الطلاق فكان يتم بوفاة أحد الزوجين أو بطلاق مكتوب، والزوج وحده من يملك حق التصرف فيه، وتبدل عدة محاولات للحد من الطلاق حماية للمرأة ونصرة للأخلاق.

كما كانت لهم عوائد عتيقة في حالة العقم والحمل والولادة وعند الزيارات وفي الختان والخطبة.^{xii}

كما أن عادات اليهود في طنجة أو غيرها من المدن المغربية، فإن المرأة عندما يتوفى زوجها وليس له معها أولاد وجب على أخيه أن يتزوجها وهذا ما يعبر عنه بـ "اليوم" وفي هذه الحالة تسمى المرأة "يابامة" والأخ الذي يعقد عليها "يابام"^{xiii} وذلك حسب مانص عليه الكتاب المقدس.

إلى جانب كل ذلك كانت لهم عادة زيارة الأضرحة والتي حضيت بمهالة كبيرة من التبجيل والتقدير في أوساط أبناء الطائفة اليهودية في المغرب كونها تنتمي إلى عالم الصديقين.^{xii} سواء في حياتهم أو بعد مماتهم، حيث تتحول القبور إلى أماكن مقدسة يتوافد إليها اليهود من كل مكان فيما يعرف باسم "الزيارة" وهو ما يعرف في العبرية باسم "الهيلولا" وهو قريب الشبه بما هو سائد بين الطبقات الشعبية في المجتمع المصري باسم "الموسم". وتعد هذه الظاهرة سمة مميزة لحياة اليهود بالمغرب خاصة الطبقات الشعبية.

ويبلغ عدد أضرحة اليهود في المغرب نحو 652 مكاناً من بينهم 25 ضريحاً لسيدات.^{xii} وتضم قائمة الأضرحة هذه على بعض الشخصيات المسلمة، التي تحظى هي الأخرى بالتقدير والترحيل من قبل السكان اليهود.^{xii}

العادات اليهودية في مغرب العصر الوسيط لم تقتصر على ما ذكر بل كانت تنتشر بينهم عادات اجتماعية سيئة من أشهرها: شرب وتجارة الدخان (التبغ والحشيش)^{xii} والذي انتشر في الشمال

الإفريقي خلال القرن الرابع عشر.^{xii} وكذلك شرب الخمر، وقد ابا الحسن المريني كل من يقوم ببيع الخمر للمسلمين بعقوبة شديدة.^{xii}

انتشار هذه الظاهرة بالمجتمع اليهودي بطنجة خلال العصر الوسيط أدت إلى ردود فعل مجموعة من الفقهاء أمثال الشيخ عبد الله الهابطي/المبطيني، الذي "كان سلفه بها (طنجة) وخرجوا حين أخذت ... وهو من أهل العلم والعرفان، ورفعة القدر الواضحة البرهان"^{xii} كان أهله قد نزلوا ببلاد غمارة "كانت تلك الجبال التي كان بها، كثيرة الجهل وشرب الخمر وغير ذلك من المناكر"^{xii} وتجنح إلى جانب دعاة وعلماء آخرين نذروا أنفسهم لتعليم مبادئ الإسلام في هذه المناطق النائية "فبذل الوسع في تعليم التوحيد، وتقرير العقائد وتغيير المناكر ... فنفخ الله به نفعا عظيما هدى به عالما لا يحصى، وحسن حال البلاد وأهلها."^{xii} فانتشرت على غرار أسرة الشيخ الهابطي العائلات الطنجية والأندلسية، وفي القبائل الجبلية، ولا زالت بعض الأسماء الأندلسية حاضرة إلى يومنا هذا في قبائل جباله ففي قبيلة رهونة يوجد لقب الايبوري، وفي قبيلة بني مسارة يوجد لقب أغزييل ... وهي أمثلة على سبيل الإشارة فقط تناولته بالتفصيل عدة دراسات.^{xii}

يضاف إلى ذلك انتشار دور الدعارة، حيث انتشر الزنا في بلاد عدة على أيدي اليهود، ومن بينها طنجة، بسبب ضعف السلطة المركزية، ولذلك ظهر من ينادون بمحاربة هذه الرذائل والإمام الهابطي كما أشرنا من أبرزهم، حيث تم محاربة ظاهرة الاختلاط المشين بين الرجال والنساء كالاختلاط في الأعراس والولائم والحفلات والمواسم وعلى شاطئ النهر أو ساحل البحر... فالهابطي صب جام غضبه على مثير الشهوات ومشجعي الفسق والفجور والبكر.^{xii}

أما بالنسبة لطرق التعليم فالطفل اليهودي كان يربي في بلاد المغرب على اتباع الأوامر والنواهي الشرعية اليهودية، واكتساب التقاليد والعادات والتشبع بالمعتقدات والشعائر الدينية اليهودية.^{xii}

نجد في تجمعات اليهود بشمال المغرب الأقصى وباقي المغرب أماكن مخصصة للتعليم، ظهرت أولا بالقيروان وفاس، ثم نشأت أماكن أخرى إثر هجرة اليهود الإسبان إلى المغرب.

هذه التجمعات عينت بالتعليم الديني لأبناء اليهود وبث المفاهيم الدينية فيهم، كما اهتمت كذلك بمبادئ الحساب لأن التجارة والحرف تقضي معرفة ذلك.

ويطلق على أماكن التعلم ب (حيدر أي حجرة) أو الصلاة أو المسيد (المدرسة). وهي شبيهة بالكتاتيت وكان بكل معبد أو كنيسة مدرسة^{xii} وفي الأماكن التي تخلو من معبد أو كنيسة كانت المدرسة تلحق بأحد المنازل اليهودية.^{xii}

الطفل لا يدخل إلى المدرسة ليتعلم القراءة والكتابة إلا وتكون القيم الخلقية والاجتماعية قد ترسخت فيه، أما التعليم في المدارس فكان يشرف عليه رجال الدين، غير أن طرق التدريس ظلت كالسابق تقليدية لا تعتمد على أية وسيلة تربوية، وكان يغلب عليه الحفظ والاستدكار.

وتنقسم مؤسسات التعليم اليهودي إلى أولاً: أصلاً أو الحدر: وهو يشبه الكتاب عندنا

ثانياً: تلموذ وتروه. وكان هدف هاتين المؤسساتين هو تعليم الأطفال الحروف كتابة وقراءة والحركات ثم حفظ نصوص من الثوراة والصلوات المتعددة.

كما كان لليهود تعليم عالي أو (يشف) وفيه تعمق دراسات التلموذ والثوراة، وتقرأ الكتابات الأخرى مثل الزهر والتفاسير المتعددة^{xii}.

خاتمة:

في ضوء ما تقدم من استعراض الجوانب المختلفة للواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لليهود طنجة ومن خلالهم يهود المغرب خلال العصر الوسيط، فإن اليهود كانوا متغلغلين داخل المجتمع المغربي وملتحمين بكافة عناصره وجزء لا يتجزأ منه، وعنصراً فعالاً مساهماً في مختلف أوجه النشاط الاقتصادي، ولم تكن هناك تقريبا مهنة محظورة على اليهود في المغرب.

كما أن وجود العنصر اليهودي في طنجة خلال العصر الوسيط وكباقي المدن المغربية والأندلسية، نتج عنه نشاط اقتصادي مهم، برز في مختلف المجالات الاقتصادية من صناعة وتجارة وخدمات أخرى، وذلك لتفوقهم الكبير في هذا الميدان.

ومهما يكن من أمر فإن اليهود ساهموا يقينا في تنشيط اقتصاد البلاد، ونحن نعلم أيضا أنهم كانوا ذوي خبرات راقية ومتعددة في ميادين الصناعة والتجارة.

تمتع اليهود بحقوقهم كاملة ولا يختلفون عن بقية سكان طنجة وأنهم جزء لا يتجزأ من النسيج المغربي.

إضافة إلى امتلاك اليهود المغاربة تراثا ثقافيا تريا غنيا بعناصره المشبعة بالبيئة المغربية ذات الثقافة العربية الإسلامية، واحتفلوا بأعيادهم المختلفة بشكل علني وبحرية مطلقة.

وقد كانت أغلب عاداتهم وثقافته تعبر عن الرغبة في الاندماج في المجتمع المغربي والتواصل مع سائر السكان المسلمين.

المصادر والمراجع

- سميرة بحر، المدخل لدراسة الأقليات، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1982
- أبو يوسف، الخراج، نشر محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكنتها، القاهرة، طبعة بولاق 1302 هـ.
- ترتون، أهل الذمة في الاسلام، ترجمة حسن حبشي، القاهرة 1949.
- آدم متر، تاريخ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريده، ج1، القاهرة 1957
- صبحي الصالح، النظم الاسلامية، نشأتها وتطورها، بيروت 1965.
- سيد كاشف. مصر في عصر الطولونيين والإخشيديين، القاهرة 1960.
- عبد المنعم ماجد، الحاكم بأمر الله المفترى عليه، القاهرة 1959.
- عطى القوصي، اليهود في ظل الحضارة الإسلامية، سلسلة فضل الإسلام على اليهود واليهودية، وكذا الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، العدد 2، 1422 هـ / 2001 م
- أحمد الشحات هيكل، يهود المغرب تاريخهم وعلاقتهم بالحركة الصهيونية، مركز الدراسات الشرقية . سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد 35، 1428 هـ، 2007 م، مطبعة العمرانية للأوفست.
- جورج رو، العراق القديم ، ترجمة وتعليق حسن علوان ، العراق، بغداد 1986.
- عطا علي محمد شحاتة رية، اليهود في المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسين دمشق، سورية ، ط1، 1999، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع.
- جمال حمدان: اليهود أنثروبولوجيا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1967
- يسري عبد الرزاق الجوهري: شمال إفريقيا دراسة في الجغرافية الإقليمية، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة بدون تاريخ
- ج. كونتو: الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، راجعه طه حسين، مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، بدون تاريخ.
- يوسف فهمي الجزائري، الجزائر أرض البطولة، الوكالة العربية للدعاية والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.
- شقرون محمد بن أحمد، مظاهر الثقافة المغربية في القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر، الرباط، مطبعة الرسالة، 1982
- علي أحمد، اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، مجلد دراسات تاريخية، العدد: 57، السنة 17، دمشق، 1996،

- رضوان البارودي، أضواء على المسيحية والمسيحيون في المغرب في العصر الإسلامي، دار الفكر العربي 1990
- حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، دار الثقافة، المغرب، ترجمة أحمد شحلان، عبد الغني أبو العزم، الدار البيضاء، المغرب، 1987.
- ب، مونسو، الجاليات اليهودية في إفريقيا الرومانية، ضمن مجلة الدراسات اليهودية 1904.
- مارسيل سيمون "اليهودية البربرية في إفريقيا القديمة"، ضمن مجلة التريخ والفلسفة الدينية، ستراسبرك 1946
- ابن خلدون، أبوزيد عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والحجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، 1979، ج 6.
- محمد الحبيب بن خوجة، يهود المغرب الأقصى، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة 1973، ص: 33 كذلك إبراهيم طرفان: دولة القوط الغربيين، مكتبة النهضة المصرية، 1958
- إبراهيم حركات، أوضاع المغرب ومشاكله قبيل قيام الدولة السعدية.
- يوسف فهمي الجزائري، الجزائر، أرض البطولة، الوكالة العربية للدعاية والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.
- إدريس ولد القابلة، ملف المغرب واليهود والموساد، الحلقة الثانية، ديسمبر 2005
- الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا وأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981، ج 10.
- الشافعي، الأم، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، بدون تاريخ، ج 4.
- البكري ابو عبد الله، المسالك والممالك، الجزء الخاص ببلاد المغرب، دراسة وتحقيق، زينب الهكاري، ربايت، الرباط 2012
- مصطفى أعشي: من ميناء ليكسوس إلى ميناء تينكا (طنجة) البحري، ضمن أعمال الأيام الوطنية الثامنة عشر للجمعية المغربية للبحث التاريخي، الدار البيضاء في 29-27. أكتوبر 2010، الندوة بعنوان: المدن المراسي في تاريخ المغرب، ط 1، 2013
- الادريسي، أبي عبد الله محمد، المغرب وأرض السودان ومصر ولأندلس، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، د،ت، مطبعة بريل، ليدن 1866م.
- ابن حوقل أبي القاسم محمد بن علي، صورة الأرض، د.ط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1992
- عبد العزيز خلوق التمسماي، بحوث ونصوص حول تاريخ المغرب المعاصر منشورات سليكي اخوان، ط 1، 1996، مطبعة فضالة، المحمدية.

- مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأبصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، د.ط، دار الشؤون العامة، العراق، 1986م.
- مرمول كاربخال، إفريقيا الجزء الثاني، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي، محمد زبير محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون، ج 1، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع المعارف الجديدة، المغرب، 1988-1989.
- الحسن بن الوزان الفاسي المعروف بليون الأفريقي، وصف إفريقيا، ترجمة: عبد الحميد حميدة، وراجعه الدكتور علي عبد الواحد وافي، نشر المملكة العربية السعودية، الرياض 1979.
- سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت ط1، 1405 هـ/1985م.
- احمد بن خالد الناصري، الاستقصا، منشورات وزارة الثقافة والاتصال 2001، دار الكتاب، ج4.
- ، النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن 3-5هـ/9-11م، كلية التربية للبنات، قسم - محمد البياتي التاريخ، بغداد 2004.
- ابن خرداذبة، أبو القاسم علد الله، المسالك والممالك، د.ط، بريل ليدن 1989.
- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، كتاب الجغرافيا، تحقيق محمد حاج صادق، نور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت.
- عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر أبو الفداء، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت.
- السيد عبد العزيز سالم العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1969.
- سونيا هاو، في طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت، راجعه محمد النحاس مكتبة نهضة مصر، بدون تاريخ،
- عزالدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب خلال القرن السادس عشر الهجري، دار الشروق، القاهرة 1993.
- الحبيب الجناحي، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1986
- مورييس لومبار، الاسلام في مجده الاول، ترجمة اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر، ط 1، الجزائر 1979.
- الحبيب الجناحي، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1986.

- روجيه لوتورنو، فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زيادة، مكتبة لبنان، بيروت 1967.
- صالح محمد فياض، دولة بني وطاس ودورها السياسي والحضاري، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الاداب الاسكندرية.
- نور الهدى حسن عبد العال، الجوانب الاقتصادية للطوائف اليهودية بجنوب المغرب، مطبعة أمبريال، القاهرة 1994.
- الحسن اليوسي، المحاضرات، أعدها للطبع محمد حجي، الرباط، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر 1976.
- علي وحيدى إلى زمن الفينيقي، ليكسوس : ميناء لتصنيع وتصبير السمك، في ندوة المغاربة والبحر
- حسن مؤنس، فجر الإسلام، القاهرة 1959.
- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، العصر الأول، القسم الثاني، القاهرة 1960.
- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة 1963.
- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، ص: 1984، ج2.
- الهادي رويح ادريس، الدولة الصنهاجية (تاريخ افريقيا في عهد بني زيري من القرن 10 الى القرن 12هـ)، ج2، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1992.
- الرهوني أحمد، عمدة الراويين في تاريخ تطاوين، مخطوط المكتبة العامة والمحفوظات بتطوان، ج1، والجزء الثالث.
- حسن ظاظا، ابحاث الفكر الديني اليهودي، دار القلم، دمشق 1987.
- أسعد رزق، التلمود والصهيونية، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت 1970
- عبد العزيز شهبر، دراسات حول يهود تطاوين، منشورات جمعية تطوان أسمير، تطوان، ط1، يناير 2000.
- محمد جلاء ادريسي، التأثير الاسلامي في الفكر الديني اليهودي، مكتبة مدبولي، القاهرة 1993.
- إيلي مالكا، العوائد العتيقة اليهودية بالمغرب من المهد إلى اللحد، نشر الملتقى، ط2، 2003، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء.
- عند سعد المغربي، ظاهرة تعاطي الحشيش دراسة نفسية اجتماعية، دار المعارف، مصر 1963

- مصطفى سويف، المخدرات والمجتمع نظرة تكاملية، عالم المعرفة، الكويت، عدد 20، 1996
- أبوجهاد محمد العربي الفاسي الفهري، مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، تحقيق الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني منشورات رابطة أبي المحاسن
- ابن عزوز حكيم، الموريسكيون في المغرب، منشورات أكاديمية المملكة المغربية 2001
- عبد القادر العافية، الداعية عبد الله الهابطي، مجلة دعوة الحق، عدد 4، المغرب 1979.
- محمد الحبيب بن ، يهود المغرب الاقصى، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة 1973.
- خوجة
- ديورانت ول ، قصة الحضارة، عصر الايمان، الجزء الثالث، المجلد 4 ، ج 14، ترجمة: محمد بدران، لجنة التأليف والنشر، القاهرة 1975.
- رشا عبد الله الشامي، القوى الدينية في اسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، سلسلة عالم المعرفة، عدد 186، اصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، يونيو 1994م.
- ANWATI.G,Science, cambrage history of islam, V.11,
Cambridge 1970 -
- ENCY CLOP2DIE DE L'islam.vol.2.article, dHima
- H.ZAFRANI. Mille an de vie juive au maroc.maisonneuve et
-larose,Paris, 1983
- Feher vori, Cambridge HISTORY OF ISLAM ,V.11,
-Cambridge 1970